**المنهج السيميائي**

**الأهداف :**

* تعريف الطالب بالمنهج السيميائي ونشأته
* تحديد العلاقة بين السيميائيات واللسانيات
* بيان مبادئ التحليل السيميائي

**الأسئلة والإشكالية**

* ماهو مفهوم المنهج السيميائي؟
* ما هي العلاقة بين السيميائيات واللسانيات؟
* ما هي مبادئ السيميائية؟

**السيمياء و اللسانيات:**

ورغم الخلاف الذي أثاره بارت وعارض فيه دي سوسير حول علاقة السيمياء باللسانيات ، وأيهما ينتمي إلى الآخر، وعلى غرار موقف كل منهما من هذه المسألة إلا أنه يبين حجم العلاقة بين اللسانيات والسيمياء ، وحتى لا نختزل علاقة اللسانيات بالسيمياء عند المدرسة الفرنسية فإن بعض الباحثين يرى بأن مدرسة الشكلانيين الروس اللسانية والأدبية هي التمهيد الفعلي للسيميائية ، وعندما نقول المدرسة الروسية نقصد بذلك حلقة موسكو اللغوية التي قامت سنة 1915 برئاسة ياكبسون R.Jakobson وحلقة الأبوياز Opoyaz الشعرية في بترسبورغ بلينغراد سنة1916 [[1]](#footnote-2) كما لا يمكن إغفال إسهام المدرسة الأمريكية في بلورة معالم هذا العلم ونعني بذلك جهود المنطقي العالمي بيرسC.S.Peirce[[2]](#footnote-3)42 ، والدرس اللساني الأمريكي بصفة عامة .

وأكيد أنّ البحث عن الأصول اللسانية للنظرية السيميائية لا شك يدخل في صميم العلاقة بين الميدانين ، بل إن هذه العلاقة تجاوزت التأصيل إلى الإجراء، والتحليل **،** فالتحليل السيميائي لا يزال يعتمد على أهم الآليات التي تعد من الأصول اللسانية ومن هذه الآليات : المحايثة lmmanence الاختلاف difference العلاقات 3relation [[3]](#footnote-4)1، ... وغيرها من مستويات التحليل البنيوي 4[[4]](#footnote-5)2 .

ورغم استقلالية البحث السيميائي وقطعه لأشواط كبيرة في تحديد ميدانه ومنهجه إلا أنه يظل مدينا للأبحاث اللسانية وكل ما تقدمه من جديد من ذلك تأثر البحث السيميائي بالثورة الدلالية التي قدمها النحو التوليدي 5[[5]](#footnote-6)3 وأثره في توسيع البحث العلاماتي والدلالي وهذا ما يدل على الصلة الوثيقة بين العلمين .

**المنهج السيميائي**

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت هناك العديد من المؤشرات و الظروف والأسباب التي اجتمعت لتفرض حتمية تغير الواقع الفكري الراهن والتبشير بفكر جديد يكون مخالفا تماما لما كان معهودا , وأكيد أن من أهم هذه الأسباب الطفرة المعرفية التي عرفتها العلوم الإنسانية وتحديد موضوعها ومنهجها وأهدافها نتيجة لشيوع بعض المذاهب الفكرية كالفلسفة الوضعية Positivismeو التجريبية Empiricisme [[6]](#footnote-7)1 واتجاه هذه العلوم إلى العلمية والتجريد اقتفاء لنهج العلوم التجريبية التي حققت انتصارات معرفية هائلة .

ولم تكن اللسانيات بمعزل عن هذا الحراك الفكري، فبعد استنفاد البحث التاريخي لأوراقه ووصوله إلى طريق مسدود، أدى ذلك إلى ظهور حركة جديدة اكتسبت شرعيتها من المناخ الفكري الذي كان سائدا، ومن دون العودة إلى نبش الأصول, وبحث الأسباب نستطيع القول بأن ظهور البنيوية قد سحق في مدة زمنية وجيزة البحث التاريخي الذي امتد إلى قرون عدة دون أن يلغيه تماما, وقد كان اكتساح البنيوية في هذه الفترة بمنزلة المذهب الديني[[7]](#footnote-8)2 الذي انتشر في الغرب، بسبب النظرة العلمية المجردة للنص التي استطاعت إعطاءه استقلالية ذاتية وفق آليات تفاعلية داخلية تستبعد كل ما هو غير نصي وقد كان هذا كافيا لتجاوز المزالق التي وقعت فيها التاريخية والانطباعية والاجتماعية والأديولوجية ... الغير معترف بها بنيويا , وتعد السيميائية من هذا المنطلق رديفا للبنيوية في فترة الستينيات والسبعينيات بالتحديد، وقد يصعب التفريق بين السيميائي والبنيوي في هذه الفترة إلا من حيث المصطلح وقد كان من أهم أسباب ازدهار السيميائيات في هذه الفترة على وجه الخصوص النقاط التالية :

* الإسهامات السيميائية الخلاقة التي نشطت في أحضان المدرسة الفرنسية خاصة الدروس التي قدمها : أ.ج. غريماسA.J.Greimas في كلية العلوم بباريس معهد هنري بوانكاري. Institut .Henri Point carré مابين 1963 – 1964 التي جمعت في كتاب يحمل عنوان علم الدلالة البنيوي[[8]](#footnote-9)1 ويعتبر هذا الكتاب بحث حقيقي في السيمياء منذ سوسير و بيرس .
* وفي هذه الفترة عقد من المؤتمرات والملتقيات التي تبحث في السيميائية ما لم يعرفه تاريخ النقد من قبل منها ثلاث ملتقيات في بولونيا، الأول بفرسوفيا Varsovie في 1965 ، والثاني بكازميز kazimierz في 1966 ، وقد نظم الملتقى الثالث بفرسوفيا سنة 1968 ، وقد نوقش في هذه الملتقيات المقاربات المنهجية المختلفة قصد دراسة الأنظمة الدلالية المتنوعة[[9]](#footnote-10)2 , وعلى غرار ملتقى بولونيا تأسست الجمعية الدولية للسيميائية التي كان غريماس أمينا عاما لها , وعلى إثر هذه الجمعية أسست فرقة بحث تعد الأولى من نوعها تعني بالأبحاث السيميائية والألسنية و أردف هذا الجهد الجمعوي بمجلة فصلية تحمل عنوان سميوتيكا Semiotica .

ولعل مما يجدر الإشارة إليه في هذا السياق الحركة البحثية الهائلة التي شغلها مصطلح سيمياء بسبب الإشكالية القائمة بين تداخل مصطلحي السيميوتيك و السيمولوجيا والذي أثار العديد من الندوات العلمية والبحثية حول جدوى وميدان كل من المصطلحين، و دون أن نلج في تفاصيل هذا الاختلاف الاصطلاحي الذي انتهى بتوقيع اتفاق اصطلاحي بين كبار السيميائيين ( ياكبسون- غريماس-بارت-ليفي ستروس Claude lévi Strauss-بنفيستÉmile Benveniste ) سنة 1968، قبل انعقاد الجمعية الدولية السيميائية التي نصت على مصطلح SEmiotique بدل Sémiologie ، ولكنه لم يستطع أن يمحو نهائيا مصطلح Sémiologie من الساحة الأروبية[[10]](#footnote-11)3

وإذا كان هذا هو حجم الخلاف بين مصطلحين في البيئة الغربية ، فإن عربيا يقابل مصطلح Sémiotiqueلوحده أكثر من خمسين ترجمة عدها يوسف وغليسي4 [[11]](#footnote-12)في تخريجه لهذا المصطلح وتعريبه وهو ما يدل على حجم المشكلة عربيا التي تصل إلى حد المعضلة.

* نستطيع القول بأن "السيميائية والبنائية"[[12]](#footnote-13) قد عرفت أ زهى عصورها في أحضان حركة النقد الجديد"Nouvelle Critique" وذلك منذ المعركة النقدية الفاصلة بين ريمون بيكارRaymond.Bicare ممثل النقد القديم ورولان بارت ممثل النقد الجديد التي انتهت لصالح هذا الأخير وقد يكون كتاب رولان بارت المعنون "بعناصر السيمولوجيا ، Élement de la sémiologie1967 " محصلا لمسار هذه الحركة التي نشطت على مستوى أكاديمي وكذلك على مستوى مراكز الأبحاث إذا شئنا ضم النقاد الجدد الأنجلوساكسون.

ولكن هذه الحركة ما لبثت أن تعرضت بدورها إلى حملات نقدية لاذعة ولعل أنصارها أحسوا بهذا الارتباك نتيجة النقائص العديدة التي اشتمل عليها التحليل البنائي، و التي أعادت للأذهان اتجاهات كانت قد ماتت من قبل مثل الجمالية والفنية[[13]](#footnote-14) .

وبالرغم من الخيط الرفيع الذي يميز البنائية عن السيميائية إلا أن هذه الأخيرة ظلت في منأى عن أهم الثغرات التي عرفتها البنائية مثل:

- الرؤيا المغلقة للبنية الأدبية , مما أدى إلى فصلها عن باقي الأنظمة الدالة وإلى انفصالها عن الثقافة التي تنتمي إليها .

- فقدان عنصر المعنى أو الدلالة في تحديد البنائية للوحدات الداخلية في التصوير الشكلي كنظام العلاقات الذي يتكون منه العمل الأدبي , مما أدى إلى تصور الإبداع الأدبي كمجموعة من الوصفات التقنية.

- انفصال العمل الأدبي عن البناء الاجتماعي الذي تحدد كيانه ، ومن هنا جاء تحديد مفهوم العلامة Signe كشيء حتمي ذي طابع اجتماعي مفهوما أساسيا للسيميوطيقا[[14]](#footnote-15).

فإذا انتقلنا من المناهج البنائية إلى المناهج ما بعد البنائية نستطيع القول بأن البحث العلاماتي كان بحاجة إلى زحزحة أو خلخلة تعيد رسم خارطة المعنى في النص وذلك بالنظر إلى كل المسلمات التي ارتكزت عليها البنية لينتقل البحث من أحادي المعنى ، إلى تعدد المعنى ، ومن الدفاع عن النص إلى نقض النص ، ومن سلطة البنية إلى استراتيجية التفكيك التي كانت بمثابة انقلاب على البنيوية في جانبها الديكتاتوري المغلق ، لكن ذلك لم يقض تماما على البنيوية ، ولكنه عدل من مسارها ، فالنقد الأدبي لا يسعه إلا أن يكون بنيويا [[15]](#footnote-16)، وإنما هي عملية نقد ذاتي ورد اعتبار لحركة وفاعلية القارئ داخل النص المناهضة لسلطة المؤلف وهيمنته ، حيث غدا النص بمثابة «كون مفتوح(open-end) بإمكان المؤول أن يكتشف بداخله سلسلة من الروابط اللانهائية » [[16]](#footnote-17).

ومن هذا المنطلق ظهرت التيارات النقدية الجديدة كالتفكيك والقراءة والتأويل التي وسعت من ميدان العلامات الذي انفتح على الثقافة والمجتمع والفلسفة و التاريخ ... وهو انفتاح يدل بالتأكيد على مرونة السيمياء وقدرتها على التكيف والتفاعل مع الظروف المستجدة في الفكر والثقافة ، وربما ترتبط هذه المرونة بطبيعة هذا العلم الذي مازال يتلمس طريقه على اعتبار أنه لم يستطع حتى الآن أن يحدد «مجال دراسة العلامات» [[17]](#footnote-18) بشكل نهائي وقطعي .

**آليات المنهج السيميائي**

قد يكون من غير الممكن تحديد المجال المعرفي للسيمياء خاصة على المستوى النظري لتشعب هذا الميدان وتوسع انشغالاته كما مر بنا، ولكن في مقابل ذلك تبدو معالم النظرية السيميائية أكثر وضوحا خصوصا إذا تم تحديد ميدانها سلفا ، باعتبارها إجراء نقديا أو قالبا منهجيا يبدأ بمقدمات تمهيدا لعرض القراءة مستعينا بمختلف الوسائل والآليات التي يعول عليها من أجل الوصول إلى النتائج المرجوة، والأهداف المرتقبة، ويكون مسرح هذه الآلية بالضرورة النص بأعقد أشكاله سواء كان نصا أدبيا، أو تاريخيا، أو فلسفيا، ... ، وبالرغم من إمكانية السيطرة على المنهج كآلية وإجراء إلا أنه لا يمكن حصر الوسائل المنهجية والاتجاهات النقدية التي يغرف منها الناقد، فالإجراء أو الخطة لا قيمة لها من هذا المنظور بمعزل عن فاعلية الناقد وقدرته على تطويع المنهج كأداة مرنة لترويض المعنى، وكل هذا يرجع إلى ثقافة الناقد ومهارته الفنية التي اكتسبها من الدربة والخبرة ليصبح السلاح بحامله كما قيل.

وإذا كان البحث السيميائي عموما يربط مجاله بالعلامة، فإن المنهجية السيميائية تستند في رصدها لهذه العلامة عن طريق بحث تحولاتها وتمظهرها داخل النص فيصبح النص بما يشكله من تآلف و اختلاف ميدانيا مناسبا لمحاولة تحديد معالم العلامات التي ينطوي عليها .

وبالتالي سنحاول عرض بعض السمات المشكلة للعلامة و بما ينضوي تحتها من أنوع وأشكال وآليات محاولين رصد فاعلية وحركية هذه العلامات داخل النص كبناء وانطلاقا من ذلك يمكن تقسيم المبحث إلى عنصرين أساسين :

- العلامــــة .

- مفاهيم سيميائية لابد منها.

* **العلامة (Signe):**

رغم اختلاف مفهوم العلامة من ناقد إلى آخر و من اتجاه إلى غيره حسب المدارس والمذاهب ، ولكن يتفق الجميع على أنها شيء مدرك يظهر شيئا آخر لا يمكن أن يظهر لولاه[[18]](#footnote-19).

والمتداول في البحث السيمائي أن العلامة مرت بثلاث مراحل أساسية بدء بثنائية سوسير مرورا بثلاثية بيرس انتقالا إلى مربع غريماس .

ويتشكل مفهوم سوسير للعلامة باعتبارها ذات وجهين :أحدهما مادي – الدال- والآخر فكري- المدلول، وبالتالي فإن العلامة أو الدليل عند سوسير يشكل وحدة دلالية في علاقة افتراضية تقابلية بين مظهر تعبيري يسمى الدال، وتصور مفهومي يسمى المدلول، أثناء فعل الكلام أو أي فعل تواصلي وبالتالي فإن الدليل اللساني يتشكل باتحاد الصورة الصوتية المادية المسماة (دال،(signifiant بالصورة الذهنية أو المفهوم المسمى بـ (المدلول،signifié ) ومن هنا عرف سوسبر اللغة بأنها نظام من الدلائل وقد يبدو هذا الفرض السوسيري بسيطا ، ولكنه في الحقيقة ألغى تصورا كان سائدا طيلة قرون بمعنى أن المدلول لا يرتبط بشيء مادي، وأن الدليل ليس تطابقا بين الدال والمدلول أو هو دال مباشرة على المسمى كشيء مادي، ولكن يدل على تصور أو مفهوم ذهني وعقلي ومن هنا ظهر مفهوم (الاعتباطية، (Arbitraire كعلاقة جزافية بين قطبي الدلالة كما يراه سوسير ، ويرى أركون أن هذا المفهوم من الأهمية بمكان، لأنه يغير التصور التقليدي الذي يربط النصوص بحرفيتها أكثر من محاولة تصور الدلالات التي توحي بها، وعلى هذه المصطلحات وغيرها تنعقد أهمية المقاربة النقدية الحديثة.

- أما بيرس فإنه يركز في اهتمامه بماهية العلامة على علاقتها بالمرجع الذي استخدمه سوسير من قبل على أساس أنه معطى غير لساني في حين أن نظرية بيرس تقوم على توسيع هذا المفهوم باعتبار أن المرجع يمثل الكون بمختلف تجلياته وأن الكلمة لا تحيل على المعنى بقدر ما تعبر عن مضمونها الثقافي و الاجتماعي ومن هنا أصر بيرس على الطبيعة الثلاثية للعلامة , القائمة على:

-"Repésentamen" ممثل ماثول الذي يحيل على موضوع "Objet" عبر المؤول "Intrprétant " (ممثل --- مؤول --- موضوع)[[19]](#footnote-20).

شكل (01)[[20]](#footnote-21)

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم العلامة إلى ثلاثة أقسام :

-( الأيقونة : eIcon – مؤشر Indexe – رمزeSymbol) ، والفرق بينها يتحدد في العلاقة ، فالأيقونة تقوم على علاقة التشابه حيث أن الصليب المعلق على الرقبة يشبه الذي صلب عليه المسيح ، أما المؤشر فإنه يرمز إلى علاقة سببية وهو ما يمثله السحاب بالنسبة للمطر في حين أن الرمز يحيل إلى العلاقة الاعتباطية القائمة على الوضع والاصطلاح فلا يوجد ما يربط بين الأحمر والتوقف في إشارات المرور[[21]](#footnote-22) .

وإذا كان الدرس البنائي والنسقي يركز أساسا على دلالة البنية فإن السيمياء تهتم ببنية المعنى ، وبالتالي فهي تحاول تقييد المعنى في إطار من العلاقات والترابطات التي تميز بين مستويين أو بنيتين للنص " بنية سطحية ، و بنية عميقة " وهو ما حاول تسميته غريماس بالبنية القاعدية للمعنى ، وهذه البنية كما يتصورها غريماس قائمة على أربعة معايير هي التضاد "Le contraire" ، والتناقض " Le contraduction" ، الاقتضاء "Complémentarité" ، والتضاد التحتي" Le subcontraire" فكل علامة ترتبط وجوديا ووظيفيا إذا كانت تتعالق تضاديا وتناقضيا و اقتضائيا مع علامة أخرى تستودعها ويمكن توضيح هذه العلاقة بالشكل التالي:

يأس

اقتضاء

تناقض

لا أمل

اقتضاء

لايأس

تضاد تحتي شبه تضاد

أمل

تناقض

تضاد

شكل(02) [[22]](#footnote-23)

ويمكن بسط هذا النموذج الرباعي إلى نموذج أفقي على هذا النحو:

وضع أوّلي تحويل وضع نهائي ، وهو ما يشكل التحول من البنية السطحية إلى العميقة.

أما إذا كانت هذه البنية في مقام تواصلي سردي فإنها لا يمكن أن تؤدي وظيفتها إلا إذا كانت منطوية تحت بنية عاملية تشتمل على بطل ، ومعيق ، ومساعد ، ويقصد ببنية العامل أن العلاقة القائمة بين عناصر دورة التواصل لا تتحقق خارجها بمعنى أن المرسل لا يكون عاملا إلا من خلال علاقته بالمرسل إليه . كما تنعدم عاملية البطل إلا من خلال رغبته في تحقيق الموضوع, وكذلك الأمر بالنسبة للمساعد والمعيق ويمكن توضيح ذلك بالشكل التالي :

علاقة إبلاغ

المرسل الرسالة المرسل إليه

علاقة رغبة

المساعد البطل المعارض

علاقة صراع

شكل(02)[[23]](#footnote-24)

1. عمار زعموش: النقد الأدبي المعاصر في الجزائر(قضاياه واتجاهاته)، قسنطينة، مطبوعات جامعة منتوري، 2001، [↑](#footnote-ref-2)
2. 2– حنون مبارك: دروس في السيمائيات، الدار البيضاء:دار توبقال، ط1 ،1987، . [↑](#footnote-ref-3)
3. 3 - محمد مفتاح: دينامية النص، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط02 ،1990 . [↑](#footnote-ref-4)
4. 4– عبد الله إبراهيم: مد خل إلى المناهج النقدية الحديثة، بيروت ، المركز الثقافي العربي، ط1 ،1991، . [↑](#footnote-ref-5)
5. 5 – أمينة رشيد: السيميوطيقا مفاهيم وأبعاد، مرجع سابق، . [↑](#footnote-ref-6)
6. 1 – محمد محمد علي يونس: مدخل إلى اللسانيات، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 ،2004 ، . [↑](#footnote-ref-7)
7. 2 – ايان كريب، النظرية الاجتماعية(من بارسونز إلى هابرماس)، تر:محمد حسين غلوم، الكويت، عالم المعرفة، ،1999، . [↑](#footnote-ref-8)
8. 1 – رشد بن مالك: البحث السيميائي المعاصر (السميائية والنص الأدبي)، جامعة باجي مختارعنابة، أعمال ملتقى معهد اللغة العربية وآدابها ، ،12/17ماي، 1995، . [↑](#footnote-ref-9)
9. 2 – المرجع نفسه، . [↑](#footnote-ref-10)
10. 3 – يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، الجزائر، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 2007، . [↑](#footnote-ref-11)
11. 4- المرجع نفسه، [↑](#footnote-ref-12)
12. - يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي ،مرجع سابق، [↑](#footnote-ref-13)
13. - كريستوفر نوريس: التفكيكية (النظرية والممارسة)، تر:صبري محمد صالح، الرياض، دار المريخ، 1989، [↑](#footnote-ref-14)
14. - أمينة رشيد: مرجع سابق، [↑](#footnote-ref-15)
15. 1 - جاك دريدا: الكتابة والاختلاف، تر:كاضم جهاد، المغرب، دار توبقال، 1988، . [↑](#footnote-ref-16)
16. 2 - أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر:سعيد بن كراد، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000، . [↑](#footnote-ref-17)
17. 3-إميل بنفنيست: سيميولوجيا اللغة، تر: سيزا قاسم، مجلة فصول، العدد 3، أبريل 1981، . [↑](#footnote-ref-18)
18. - أمينة رشيد، مرجع سابق، . [↑](#footnote-ref-19)
19. - سعيد بن كراد، مرجع سابق ، . [↑](#footnote-ref-20)
20. - أمينة رشيد، مرجع سابق ، . [↑](#footnote-ref-21)
21. - إيان كريب: النظرية الاجتماعية،مرجع سابق، . [↑](#footnote-ref-22)
22. - رشيد بن مالك: مدخل إلى السيميائية السردية، . [↑](#footnote-ref-23)
23. - رشيد بن مالك:مقدمة في السيميائية السردية، مرجع سابق، [↑](#footnote-ref-24)